

الفلاح والمفلحون
في القرآن الكريم والسنة النبوية

من إصدارات
دائرة الشؤون الإسلامية بالشارقة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا
هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا
مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ
تسليماً كثيراً.

أما بعد: فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَسْعَى فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ إِلَى الْفَلَاحِ، وَيَأْمَلُ
تَحْقِيقَ النِّجَاحِ، وَالْوُصُولَ إِلَى الْخَيْرِ وَالنَّجَاةِ، وَيَتَجَنَّبُ كُلَّ مَا يَقُودُهُ
إِلَى الْخُسَارَاةِ وَالشَّقَاءِ.

وَالنَّاسُ تَخْتَلِفُ فِي تَحْدِيدِ الْفَلَاحِ، فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَرَى الْفَلَاحَ فِي
تَحْقِيقِ الثَّرْوَةِ وَجَمْعِ الْمَالِ وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى الْفَلَاحَ فِي
الْوُصُولِ لِأَعْلَى الْمَرَاتِبِ وَالْمَنَاصِبِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى الْفَلَاحَ

في التَّكْثِيرِ مِنَ النَّسْلِ وَالذَّرِيَّةِ؛ فَهَمَّ عَزَوْتَهُ وَمَصْدَرُ قُوَّتِهِ، إِلَّا أَنَّ كُلَّ هَذِهِ
 الْأُمُورِ وَإِنْ كَانَتْ مِنَ النَّعِيمِ وَالسَّعَادَةِ فَهِيَ أُمُورٌ دُنْيَوِيَّةٌ مُؤَقَّتَةٌ زَائِلَةٌ غَيْرُ
 بَاقِيَةٍ، وَيَبْقَى الْفَلَاحُ مَنْوُطًا وَمُعَلَّقًا دَائِمًا بِمَا يَبْقَى وَيَدُومُ وَيَطُولُ،
 فَكُلَّمَا كَانَ الْفَلَاحُ أَدُومًا وَأَبْقَى وَأَطُولَ كَانَ صَاحِبُهُ أَسْعَدَ وَأَفْرَحَ
 وَأَنْجَحَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ النِّعَمَ الْآخِرِيَّ هُوَ الْبَاقِي وَالِدَائِمُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ
 تَعَالَى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى
 ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى: ١٦-١٧]، فَالْمَعْيَارُ الْحَقِيقِيُّ لِلْفَلَاحِ وَالسَّعَادَةِ هُوَ
 النِّجَاحُ فِي الْآخِرَةِ وَالْفُوزُ بِالْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ -عَزَّ وَجَلَّ-:
 ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾
 وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا
 يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨-٩].

وَقَدْ بَيَّنَّ هَذَا الْمُؤَلَّفُ مَعْنَى الْفَلَاحِ الْحَقِيقِيِّ وَوَسَائِلَ تَحْصِيلِهِ
 وَثَمَرَاتِهِ وَفَوَائِدِهِ عَلَى ضَوْءِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.

أسأل الله أن ينفع به وأن يرزقنا الفلاح والرشاد في الدنيا والآخرة.



أولاً: مفهوم الفلاح:

الفلاح من فَلَحَ، وهي تعني في اللغة: البقاء والفَوْز، والظَّفَر وإدراك البُغية^(١).

وعرّف العلماء الفلاح شرعاً بأنّه: الفوز بالمطلوب والنجاة من المَرهوب^(٢)، وللِفلاح نوعان^(٣):

الأول: فلاح دنيوي، وهو الظَّفَر بالسَّعادات التي تطيب بها حياة الدُّنيا، وهو البقاء والغنى والعِزّ.

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (٤/ ٤٥٠). والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ص ٦٤٤.

(٢) ينظر: تفسير الطبري، (١/ ٢٥٠) نقلاً عن ابن عباس في معنى المفلحين. وتفسير السعدي، ص ٤٠.

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ص ٦٤٤.

الثاني: فلاح أُخرويٍّ، وهو الذي يكون يوم القيامة للمؤمنين،
وَيَكْمُنُ فِي أَرْبَعَةِ أُمُورٍ: بقاءً بلا فناء، وغنىً بلا فقر، وعزٍّ بلا ذُلٍّ، وعِلْمٌ
بلا جَهْلٍ.

وأُسْعِدُ امرئٍ هو من نال من الفلاحين الدُّنيويِّ والأُخرويِّ، إلا أنَّ
فلاح الدُّنيا لا يُقَارَنُ بفلاح الآخرة؛ فالدُّنيا مهما كُملت في يد إنسانٍ لا
بُدَّ وأن يقع له فيها من التكدير والضيق والهمَّ والحزن والخلل، قال
تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ۝﴾ [الغاشية: ٤]، أي: في مشقَّةٍ
ونَصَبٍ من العيش^(١)، وأما فلاح الآخرة فهو الباقي والذي ينبغي للمرء
أن يسعى له وأن يجتهد في تحصيله، قال تعالى: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ
وَلِنَعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ۝﴾ [النحل: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ
وَأَبْقَى ۝﴾ [الأعلى: ١٧].

(١) ينظر: تفسير البغوي، (٥/ ٢٤٥).

ثانياً: أسباب الفلاح:

لا شك أنَّ الفلاح والفوز والنجاة مطلب كلِّ إنسان في هذه الدنيا، ولا بد لمن أراد إدراك مطلبه أن يعلم الأسباب التي توصله إليه ليعمل بها، ويجتهد في الأخذ بها، ومن أسباب الفلاح:

١. الإيمان بالله تعالى:

إنَّ الإيمان بالله تعالى أعظم أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة، وقد وعد الله - سبحانه وتعالى - عباده الذين آمنوا به بالفلاح والنجاة من الشرور في كتابه في عدَّة مواضع، ومنها قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون: ١] والآية هنا تؤكد تحقُّق وقوع الفلاح للمؤمنين^(١)، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال لرجل مشرك في أسرِه أراد أن يُسلم: (لو قُلتَها وأنت تملك أمرَك، أَفَلَحْتَ كلَّ الفلاح)^(٢)،

(١) ينظر تفسير الألوسي، (٩/ ٢٠٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: (١٦٤١).

ومعناه: لو قلت كلمة الإسلام قبل الأسر حين كنت مالك أمرِك
أفلحت كلَّ الفلاح؛ لأنه لا يجوز أسرك لو أسلمت قبل الأسر فكُنت
فُزْتَ بالإسلام وبالسَّلامة من الأسر^(١).

وكلمة التوحيد أعظم سببٍ للفلاح فقد كان نبيُّنا ﷺ يطوف
بالناس في أسواقهم في بداية دعوته إلى الإسلام فيقول لهم: (يا أيها
الناس، قولوا: لا إله إلا الله؛ تفلحوا)^(٢)، وهي سبب لدُخول الجنَّة
والنَّجاة من النَّار، فعن محمود بن الرِّبيع الأنصاري -رضي الله عنه-
أنَّ رسول الله ﷺ قال: (فإنَّ الله قد حرَّم على النار من قال لا إله إلا الله،
يبتغي بذلك وجهَ الله)^(٣).

ولا بد للإيمان أن يرتبط بالعمل الصالح حتى يكون سبباً للفلاح
كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ

(١) شرح صحيح مسلم للنووي، (١١/ ١٠٠).

(٢) أخرجه الحاكم: (٣٩).

(٣) أخرجه البخاري: (١١٣٠).

مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ ﴿[القصص: ٦٧]، لذلك عَرَّفَ علماؤنا الإيمان فقالوا: هو التصديق بكل ما أخبر به الله - عز وجل - والرسول ﷺ اعتقاداً بالقلب، وقولاً باللسان، وعملاً بالجوارح والأركان. والمؤمن بقدر إيمانه يحصل له الفلاح؛ فكلما زاد إيمانه بربه - عز وجل - زاد فلاحه في هذه الدنيا وفي الآخرة، وبقدر ما يضعف إيمانه ينقص نصيبه من الفلاح فيهما.

وقد قرن الله - عز وجل - الفلاح بالإيمان بالغيب وبالكتب المنزلّة على الأنبياء وباليوم الآخر فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: ٣-٥]، والإيمان بالغيب هو أن يؤمن بكل ما أخبر به الله - عز وجل - ورسوله ﷺ مما لم يشاهده المرء أو لم يهتد إليه عقله، والإيمان بالغيب هو المميّز

حقاً بين المؤمن والكافر؛ فليس العبرة في الإيمان بالمحسوس ولكن العبرة بالإيمان بالغيب الذي لا يُشاهد.

ومما يتضمَّنُه الإيمان بالغيب الإيمان بالرسول والكتب المنزل عليهم، ومن ذلك تعظيمهم وإجلالهم وعدم التفريق بينهم.

ومن الإيمان بالغيب أيضاً الإيمان بما أنزله الله تعالى على نبيه ﷺ من القرآن والسنة، ومن الإيمان بالغيب الإيمان باليوم الآخر أي: كل ما بعد الموت من الأحداث ويدخل فيه حياة البرزخ ويوم القيامة^(١)، ولما كان هذا الإيمان الغيبي هو الباعث للمرء على الرغبة والرغبة والجِدِّ والعمل وعدم التهاون والكسل؛ كان ذلك من أكبر الدواعي للمرء أن يجتهد في هذه الدنيا فيكون فيها من المفلحين الناجين الذين هداهم الله تعالى إلى أحسن طريق.

(١) ينظر تفسير السعدي، ص ٤٠.

٢. تقوى الله:

إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- هِيَ الْحِصْنُ الْحَصِينُ وَالْوَقَايَةُ الْعَظْمَى مِنْ الْخُسْرَانِ الْمُبِينِ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْفَلَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالتَّقْوَى: أَنْ يَجْعَلَ الْعَبْدُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَخْشَاهُ مِنْ رَبِّهِ مِنْ غَضَبِهِ وَسَخَطِهِ وَعِقَابِهِ وَقَايَةً تَقِيهِ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ فِعْلٌ طَاعَتُهُ وَاجْتِنَابُ مَعَاصِيهِ^(١).

والتقوى وصية الله -عَزَّ وَجَلَّ- لخلقه الأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، وقد سئل أبو هريرة -رضي الله عنه- عن التَّقْوَى يوماً فمثَّلها بأروع مثال حينما أجاب السائل فقال له: أَخَذْتَ طَرِيقًا ذَا شَوْكٍ؟ قال: نَعَمْ قال: فَكَيْفَ صَنَعْتَ؟ قال: إِذَا رَأَيْتُ الشَّوْكَ عَدَلْتُ عَنْهُ أَوْ جَاوَزْتُهُ أَوْ قَصَرْتُ عَنْهُ قال: ذَاكَ التَّقْوَى^(٢).

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب، (١/ ٣٩٨).

(٢) الزهد الكبير للبيهقي: (٩٦٣).

ومن التقوى أن يتجنب الإنسان المحرّم من المعاملات وهو من أسباب الفلاح، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً^ط وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران: ١٣٠].

والمؤمن ينبغي عليه أن يتجنب الصّريح المحرّم من الأمور وأن يتحرّز مما يشتهيه فيه فإن تركه فهو له أسلم؛ براءة لدينه وعرضه ونفسه وحفظاً لها من الوقوع في شيء من المحرّم؛ لأنّه غير مُتَقِنٍّ من حرمة الأمر أو حِلِّه وذاك هو عينُ التقوى، وهو من أعظم أسباب الفلاح والقبول عند الله تعالى، جاء عن أبي يزيد الفيض قال: سألتُ موسى بن أعين عن قولِ الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧] قال: (تنزّهوا عن أشياء من الحلال مَخَافَةَ أَنْ يَقَعُوا فِي الْحَرَامِ، فَسَمَّاهُمْ اللَّهُ مُتَّقِينَ)^(١).

(١) الورع لابن أبي الدنيا، ص ٥٩.

وفي الحديث عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ -رضي الله عنه- قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرعى حَوْلَ الْحِمَى يوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ) ^(١).

ومما يشير إليه هذا الحديث العظيم أَنَّ صلاح القلب من الأمور التي تعين المرء على صلاح إيمانه كما جاء في المسند عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ) ^(٢)، فَالْقَلْبُ مَلِكُ الْجَوَارِحِ وَأَسَاسُهَا الَّذِي تُعَوَّلُ

(١) أخرجه البخاري: (٥٢) ومسلم: (١٥٩٩).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: (١٣٠٤٨).

عليه، لذلك من أراد صلاح نفسه وخلاصها فعليه بإصلاح قلبه أولاً قبل كل شيء.

ومن التقوى أن يستعين المؤمن بالصبر والمصابرة التي هي لزوم الصبر، فهما من أسباب الفلاح العظيمة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: "ثم حصّ المؤمنين على ما يوصلهم إلى الفلاح - وهو: الفوز والسعادة والنجاح، وأنّ الطريق الموصّل إلى ذلك لزوم الصبر، الذي هو حبس النفس على ما تكرهه، من ترك المعاصي، ومن الصبر على المصائب، وعلى الأوامر الثّقيلة على النفوس، فأمرهم بالصبر على جميع ذلك" (١).

فمن حقّق التقوى وعمل على الإتيان بأسبابها كان من المفلحين بإذن الله تعالى الناجين من الهلاك في الدنيا والآخرة.

(١) تفسير السعدي، ص ١٦٢.

٣. اتباع السُّنة النَّبوية:

قرن الله - عزَّ وجلَّ - الفلاح بالإيمان بالنبى ﷺ وبنُصرتِه واتباع سُنَّته، قال تعالى عن الذين يتبعون النبى ﷺ: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ومعنى: ﴿وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ أي: عظموه ووقَّروه^(١)، و﴿النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ﴾: هو القرآن وَالْوَحْي الَّذِى جَاءَ بِهِ مُبَلِّغًا إِلَى النَّاسِ^(٢)، فمن آمن بهذا النَّبِىِّ الكَرِيم وصدَّق به حق التصديق فأخذ بما يقول ويأمر به اعتقاداً وقولاً وعملاً فهو الْمُفْلِح - بإذن الله تعالى - ولا شكَّ؛ فَاتَّبَاعُ سُنَّته ﷺ من أعظم أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة، جاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو -رضي الله

(١) تفسير ابن كثير، (٣/ ٤٨٩).

(٢) المصدر السابق.

عنهما - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (إِنْ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ^(١))، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ^(٢))،
فَمَنْ كَانَتْ شِرَّتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ
فَقَدْ هَلَكَ^(٣))، وَاتَّبَاعُ سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَطَاعَتُهُ أَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى - بِهِ عِبَادَهُ فِي كِتَابِهِ حَيْثُ قَرَنَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - طَاعَتَهُ بِطَاعَةِ نَبِيِّهِ
ﷺ فَقَالَ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وَنَبِينَا ﷺ
إِنَّمَا جَاءَ بِمَا فِيهِ الْهُدَايَةُ وَالرُّشْدُ إِخْرَاجًا لِلنَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَإِنْقَاذًا لَهُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالشُّبُورِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ
آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا

﴿١١﴾ [الطلاق: ١١].

(١) أي: حرصًا ونشاطًا ورغبة.

(٢) أي: وهنًا وضعفًا وسكونًا.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده: (٦٧٦٤).

وَمِنْ أَتْبَاعِ سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَكَمَالِ الْإِيمَانِ: مُحِبُّهُ ﷺ، فَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)^(١)، وَلَا يَجِدُ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ وَلَذَّتَهُ وَالْأُنْسَ بِهِ إِلَّا مَنْ أَحَبَّ النَّبِيَّ ﷺ، وَمُحِبَّتَهُ ﷺ مَقْرُونَةٌ بِمُحِبَّةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -.

كَمَا أَنَّ طَاعَتَهُ مَقْرُونَةٌ بِطَاعَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، فَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَيْضًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ..)^(٢).

وَمِنْ دَلَائِلِ أَتْبَاعِ سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ نَشْرُهَا وَتَعْلِيمُهَا لِلنَّاسِ، وَالذَّوْدُ وَالِدَفَاعُ عَنْهَا، فَمَنْ أَحَبَّ الشَّيْءَ كَانَ دَائِمَ التَّذَكُّرِ لَهُ فِكْرًا وَقَوْلًا وَعَمَلًا، وَمُحِبًّا لِنَشْرِ هَذَا الْمَحْبُوبِ، وَمُدَافِعًا عَنْ كُلِّ مَا يَشِينُهُ مُظْهِرًا لِكُلِّ مَا

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (١٥) وَمُسْلِمٌ: (٤٤).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (١٦) وَمُسْلِمٌ: (٤٣).

يزينه منافحاً عنه دائماً، لذلك كان أصحاب النبي ﷺ من أشد الناس محبةً واتباعاً له ﷺ ونشراً لسنّته ودفاعاً عنها.

فقد كان من أصحاب النبي ﷺ من يسافر من بلدٍ إلى بلدٍ آخر لأجل حديثٍ واحدٍ سمعه هو وصحابي آخر ليتأكّد من صحّته فقط، فقد جاء عن عطاء بن أبي رباح - رحمه الله - أنّه قال: خرج أبو أيّوب الأنصاري إلى عُقبة بن عامر - رضي الله عنهما - وهو بمصرَ يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ لم يبقَ أحدٌ سمعه من رسول الله ﷺ غيره وغير عُقبة.

فلما قدّم أتى منزلَ مَسْلَمَةَ بن مَخْلَد الأنصاري - وهو أمير مصر - فأخبر به فعجّل فخرج إليه فعانقه، ثم قال: ما جاء بك يا أبا أيّوب؟ فقال: حديثٌ سمعته من رسول الله ﷺ لم يبقَ أحدٌ سمعه من رسول الله ﷺ غيري وغير عُقبة فابعث من يدلّني على منزله، قال: فبعث معه من يدلّه على منزل عُقبة، فأخبر عُقبة به فعجّل فخرج إليه فعانقه،

وقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ
لم يبق أحدٌ سمِعَه غيري وغيرك في ستر المؤمن، قال عُقبة: نعم سمعت
رسول الله ﷺ يقول: (من سَتَرَ مؤمناً في الدُّنيا على خِزْيِهِ سَتَرَهُ اللهُ يومَ
القيامة) فقال له أبو أيوب: صدقت، ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته
فركبها راجعاً إلى المدينة^(١).

ولم يكن أصحاب النبي ﷺ تأخذهم في الله لومة لائمٍ إذا أخطأ
أحدٌ في حقِّ النبي ﷺ في حال حياته وبعد مماته حباً له وطاعةً، من ذلك
ما جاء في قصة الصحابي الجليل زيد بن الدثنة -رضي الله عنه- لما
أراد الكفار قتله بعد أن أسروه غدرًا، فقال له أبو سفيان -ولم يكن
مسلمًا بعد- حين قُدِّمَ لِيُقْتَلَ: نَشَدْتُكَ اللهُ يا زيد، أتحبُّ أنَّ محمدًا
عندنا الآن مكانك، فنضربُ عُنُقَه وأنتك في أهلِكَ؟ فقال: والله ما أُحِبُّ
أنَّ محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تُصِيبُه شوكةٌ تؤذيه، وأني جالس

(١) أخرجه الحميدي في مسنده: (٣٨٨).

في أهلي، فقال أبو سفيان: ما رأيتُ أحدًا من الناس يحب أحدًا كحُبِّ أصحابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا^(١).

فمن كان مُتَّبِعًا لِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ متمسكًا بها، محبًا له ﷺ، مُقَدِّمًا لأمره ونَهْيِهِ على مِلَذَّاتِهِ وهواه فلا بد وأن يكون من المفلحين.

٤. ذَكُرُ اللَّهِ تَعَالَى:

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْفَلَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ كَثِيرَ الذِّكْرِ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]، وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُكْثَرِينَ مِنْ ذِكْرِهِ تَعَالَى بِالْمَغْفِرَةِ وَالْأَجْرِ الْعَظِيمِ مِنْ عِنْدِهِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ أَلَّفُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَالَّذِينَ كَرِهَتْ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

(١) أسد الغابة لابن الأثير، (٢/ ١٣٥).

وقد جاء في السُّنَّة النبويَّة ما يشهد على عظيم فَضْلِ الذِّكْرِ، وعُلُوِّ مقامه عند الله تعالى، فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاء -رضي الله عنه- قال: قال النبي ﷺ: (أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَّكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ^(١))، وخَيْرٌ لَّكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟) قالوا: بلى. قال: (ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى). قال معاذ بن جبل -رضي الله عنه-: "ما شيءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ"^(٢)، وفي الأثر الذي ذَكَرَهُ معاذٌ -رضي الله عنه- دليل صريح على أَنَّ الذِّكْرَ مِنْ أَعْظَمِ أسبابِ الفلاح إِذْ الفلاح هو النجاة من المرهوب كما جاء في تعريفه.

وكلُّما أَكْثَرَ المرءُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- كان ذلك دليلاً على محبَّته وقُرْبِهِ مِنْهُ؛ وكان ذلك أدعى لِفَلَاحِهِ ونجاحه في دنياه وآخِرته،

(١) أي: الفضَّة.

(٢) أخرجه الترمذي: (٣٣٧٧).

فمن كان قريباً من الله - عزَّ وجلَّ - كان الله معه في جميع أمره وشأنه، ومن كان الله معه وحليفه كان الفلاح ملازماً له في كلِّ حين، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: (يقول الله تعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خَيْرٍ منهم، وإن تقرب إليَّ شبراً تقربتُ إليه ذراعاً، وإن تقرب إليَّ ذراعاً تقربتُ إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هَرْوَلَةً)^(١).

وإذا أراد المؤمنُ أن يُعَدَّ من المُكثِرِينَ من الذِّكْرِ ينبغي عليه أن يحرص على أن يذكر الله - عزَّ وجلَّ - في كلِّ أحيانه وحالاته وأوضاعه، فقد مدح الله عزَّ وجلَّ من كانت هذه حاله، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١]،

(١) أخرجه البخاري: (٦٩٧٠)، ومسلم: (٢٦٧٥).

قال مجاهد - رحمه الله -: "لا يكون العبدُ من الذاكرين الله كثيراً، حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً"^(١).

وذكر الله تعالى من أعظم أسباب الطمأنينة وانشرح الصدر كما قال ربنا - عز وجل - في كتابه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، فمن اطمأن قلبه وانشرح صدره وارتاحت نفسه فقد أدرك غايةً عظيمةً من غايات الدنيا التي ينشدها كل مخلوق، وهذا هو الفلاح.

وقد ربط الله - عز وجل - النَّصْرَ والثَّباتَ والفلاحَ بالذكرِ في أحلك الظروف، وأصعب اللحظات، وأمرها على الإنسان، فأمر فيها بالإكثار من الذكر لأنه سبيل نجاته فيها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال:

(١) تفسير ابن كثير، (٨/ ١٢٣).

٤٥]، قال الشيخ السعدي - رحمه الله -: "فالصبر والثبات والإكثار من ذكر الله من أكبر الأسباب للنصر"^(١).

وعند السَّعْيِ في طلب الرِّزْق الطَّيِّب المُبَارَك أمر الله عباده بِذِكْرِهِ
أَيْضًا فَإِنَّ ذَلِكَ من أكبر أسباب الرِّزْق الحَسَن، قال تعالى: ﴿فَإِذَا
فُضِيتَ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ
كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]، جاء عن عِرَاكِ بْنِ مَالِكٍ
- رضي الله عنه - إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ انصرف فَوَقَّفَ على باب المسجد،
فقال: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَجَبْتُ دَعْوَتَكَ، وَصَلَّيْتُ فَرِيضَتَكَ، وَانْتَشَرْتُ كَمَا
أَمَرْتَنِي فَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ، وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ"^(٢).

وقد أمر نبيُّ الله نوحٌ عليه السلام قومه بالاستغفار؛ فَإِنَّ ذَلِكَ من
أَعْظَم أسباب الرزق، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ

(١) تفسير السعدي، ص ٣٢٢.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم: (١٨٨٩٧).

عَقَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴿ [نوح: ١٠-١٢]، ففي الاستغفار نزول المغفرة من الله تعالى وهو نجاة في الآخرة - بإذن الله تعالى -، وفيه نزول المطر الذي هو حياة الأرض، والوفرة من الأموال والبنين، والزرع والحصد، وهذه الأمور فيها الفلاح والفوز والظفر في الدنيا والآخرة، قال ابن أبي زَمَنِين - رحمه الله -: "فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ إِيْمَانَهُمْ بِاللّٰهِ يَجْمَعُ لَهُمْ مَعَ الْحَظِّ الْوَافِرِ فِي الْآخِرَةِ، الْخَصْبَ وَالْغِنَى فِي الدُّنْيَا" ^(١).

٥. تزكية النفس:

المفلح من سعى لتزكية نفسه وأتخذ من سَيْرِهِ في هذه الحياة العِبْرَةَ من مواقِفِهِ، وتأمَّل فيما يَنْبَغِي له أن يترَفَّع عنه ويتجنَّب من الأمور المَرْدُولَةِ، وفيما يَنْبَغِي له أن يفعلَه ويتَّسَّم به من الأمور الفاضلة

(١) تفسير ابن أبي زَمَنِين، (٥ / ٤٠).

المحمودة، وعَرَّف العلماء تَرْكِية النَّفْس بَأَنَّهَا: تطهير النَّفْس من الرَّذائل، وتَنْمِيتُهَا بالفضائل.

وقد أَكَّد الله -عزَّ وجلَّ- الفلاحَ لعباده الذين يُزَكُّون أنفسهم فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى: ١٤]، وقد أعطى الله -عزَّ وجلَّ- للإنسان الخيار بأن يختار طريق الزكاة والخير أو طريق الفساد والشر وسيحاسبه بعد ذلك على ما يختار، قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [١٠-١١].

وأقسم الله -عزَّ وجلَّ- بأعظم مخلوقاته أَنَّ من زكَّى نفسه وطهرها فهو الْمُفْلِح، وَأَنَّ من أفسدها وغشَّها فقد خاب وخسر، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَلَهَا﴾ ١ ﴿وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا﴾ ٢ ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّلَهَا﴾ ٣ ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ ٤ ﴿وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا﴾ ٥ ﴿وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَلَهَا﴾ ٦ ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ٧ ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ ٨ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ٩ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ١-١٠].

وتكون تركية النفس بتوحيد الله - عز وجل - أولاً والبعد عن الشرك، فكلمة التوحيد هي أزكى كلمة وأعظمها عند الله - عز وجل - قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥]، قال الإمام البغوي - رحمه الله -: "﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾" وهي قول: لا إله إلا الله" ^(١)، وأما الشرك فهو نجس ورجز كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴿٢٨﴾﴾ [التوبة: ٢٨]، وقال تعالى آمراً نبيه ﷺ أن يهجر الشرك والمعاصي: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ [المدثر: ٤-٥]، أي: وقلبك ونيتك فطهر، وخلقك فحسن، والأصنام فاهجر ^(٢).

(١) تفسير البغوي، (٤/٢٤٦).

(٢) ينظر تفسير ابن كثير، (٨/٢٤٦). نقلاً عن سعيد بن جبير والحسن - رحمهما الله -، وابن عباس - رضي الله عنهما -.

وتزكيةُ النَّفْسِ تكون أيضاً بمُحاسبَتها ومُتَابَعَتها، فَالنَّفْسُ على ثلاث حالات: نَفْسٌ مُطْمَئِنَّةٌ، ونَفْسٌ لَوَّامةٌ، ونَفْسٌ أَمَّارةٌ بالسَّوءِ.

فأَمَّا المَطمَئِنَّةُ فَهِيَ الطَّائِعَةُ لِلَّهِ التَّارِكَةُ لِمَعَاصِيهِ، وَأَمَّا اللَّوَّامةُ فَهِيَ الَّتِي تَلُومُ صَاحِبَهَا إِذَا وَقَعَ فِي المَعْصِيَةِ أَوْ التَّقْصِيرِ وَهِيَ عَلامَةُ خَيْرٍ، وَأَمَّا الأَمَّارةُ بالسَّوءِ فَهِيَ الَّتِي تَأْمُرُ صَاحِبَهَا بِفَعْلِ المَعَاصِي^(١).

والمَرءُ يَنبَغِي لَهُ أَنْ يَحَاسِبَ نَفْسَهُ وَيَرَى إِلَى أَيِّ نَفْسٍ هِيَ أَقْرَبُ فَيَحَاوِلُ إِصْلَاحَهَا وَعِلاجَها حَتَّى تَسْتَقِيمَ لَهُ، وَالنَّفْسُ كَالدَّابَّةِ الحَرَوْنِ وَهِيَ الَّتِي تَنفِرُ عَنِ صَاحِبِها وَلَا تَسْتَقِيمُ لَهُ عَلَى حَالٍ حَتَّى يَعْصِفَها عَسْفًا إِلَى الخَيْرِ وَالهِدَايَةِ وَالنَّجاةِ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- المُؤْمِنِينَ بِمُجَاهَدَةِ هَذِهِ النَّفْسِ وَأَكَّدَ إِعانتَهُ -عَزَّ وَجَلَّ- لِمَنْ سَعَى فِي هَذَا الأَمْرِ وَتَسْديدِهِ وَتَوْفِيقِهِ فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

(١) ينظر للاستزادة كتاب الروح لابن القيم، (٢/ ٦٢٢).

وقد كان نبينا ﷺ يسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يزكّي نفسه دائماً، فقد كان من دعائه: (اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا)^(١).

فمن زكّت نفسه وصلّحت بالتّوحيد وبالبعّد عن الشّرك والمعاصي والذنوب والآثام، وحرّص على لزوم ذلك العهد بمُراقبة نفسه من الوقوع في الزّلل وارتكاب الخطأ فهو من المفلحين الناجين في الدنيا والآخرة بإذن الله تعالى.

٦. الإنفاق والبعّد عن الشح:

إن الإنفاق إذا بَدَرَ من الإنسان دلّ ذلك غالباً على حُسن خُلُقهِ ودمائيّة^(٢) نفسه، وعكسه الشُّحّ والبُخل والذي يدلّ غالباً على سوء

(١) أخرجه مسلم: (٢٧٢٢).

(٢) أي: طيب النفس وسماحتها.

الْخُلُقُ وَذُو النَّفْسِ، وَالنَّاسَ تَمِيلُ إِلَى صَاحِبِ الْكَرَمِ وَالْجُودِ، وَتُبْغِضُ
الْبَخِيلَ الشَّحِيحَ وَتَبْتَغِدُ عَنْهُ بِفِطْرَتِهَا.

وَعَزَّزَ دِينَنَا الْحَنِيفُ صِفَةُ الْكَرَمِ وَالسَّخَاءِ وَالْإِنْفَاقِ فِي الْمُؤْمَنِ
وَحَثَّ عَلَيْهَا وَأَمَرَ بِهَا وَنَهَى عَنِ الْبَخْلِ وَالشَّحِّ وَقَبَّحَ هَذِهِ الصِّفَةَ؛ وَمَنْ
ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- أَكَدَّ الْفَلَاحَ لِمَنْ يَنْفِقُ فِي سَبِيلِهِ وَيَجُودُ بِخَيْرِهِ
عَلَى غَيْرِهِ، وَيَتَّقِي شَحَّ نَفْسِهِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ إِنَّ تَقَرُّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضْعِفُهُ لَكُمْ
وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن: ١٦-١٨]، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ
-عَزَّ وَجَلَّ- مَا يُنْفِقُهُ الْمَرْءُ عَلَى غَيْرِهِ عَائِدًا عَلَى نَفْسِهِ بِالْخَيْرِ قَبْلَ كُلِّ
شَيْءٍ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ قَالَ الْإِمَامُ الطَّبْرِيُّ -
رَحِمَهُ اللَّهُ-: "وَأَنْفِقُوا مَا لَا مِنْ أَمْوَالِكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ تَسْتَقْذَوْهَا مِنْ عَذَابِ

الله، والخير في هذا الموضع المال^(١)، والمعنى: أنفقوا مالاً يكن خيراً لكم قبل أن يكون خيراً لغيركم؛ لأنّ من أنفق ماله لغيره أنقذه من شدّة الدنيا ولكنه في الحقيقة قبل أن يُنقذ غيره أنقذ نفسه من عذاب الله تعالى وشدّة الآخرة، وهذا هو الفلاح الحقيقي.

وقد تكون الوقاية من الشحّ أمراً ثقیلاً على كثير من الناس؛ لأنّ الإنسان مُحبٌّ للمال ومُحبٌّ لنفسه بطبعه، فإذا تحصّل على خيرٍ أراده لنفسه قبل أيّ أحد، قال الله عزّ وجل: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]، والخير هو المال كما فسّره العلماء^(٢)، وجاء في الحديث عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: (لو كان لابن آدم واديان من ذهبٍ لأحبّ أن يكون له ثالث، ولا يملأ

(١) تفسير الطبري، (٢٣/٢٠)

(٢) تفسير ابن أبي زمنين، (٥/١٥٥).

فَاهُ إِلَّا التُّرَابَ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ^(١)، لَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-
: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٦﴾.

٧. التوبة:

من أعظم الأسباب التي تعين المؤمن على الفلاح التوبة من
الذنوب والمعاصي والآثام، قال ربنا -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ
وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ [القصص:
٦٧].

وينبغي للمؤمن أن يُكثر من التوبة والإنابة والرجوع إلى الله تعالى؛
لأنَّه لا بد وأن يقع المرء في الإثم فعن أنسٍ -رضي الله عنه- قال: قال
رسول الله ﷺ: (كل بني آدم خَطَّاءٌ، وخيرُ الخطَّائينَ التَّوَّابُونَ)^(٢)، وعن
أبي أيوب الأنصاري -رضي الله عنه- أنَّ رسول الله ﷺ قال: (لولا

(١) أخرجه الترمذي: (٢٣٣٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه: (٤٢٥١).

أَنْتُمْ تُذْنِبُونَ لَخَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا يُذْنِبُونَ، يَغْفِرُ لَهُمْ^(١)، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: (لو أَنَّكُمْ لَا تُخْطِئُونَ لَأَتَى اللَّهُ بِقَوْمٍ يَخْطِئُونَ يَغْفِرُ لَهُمْ)^(٢).

وللتوبة ثلاثة شروطٍ ينبغي للمرء أن يأتي بها حتى تكون توبته مقبولةً عند الله - عزَّ وجلَّ - نصوحاً كما أمر عباده فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، وأوَّل هذه الشروط: الإقلاعُ عن الذنب وتركه وهجره، ثم الندمُ على ما بَدَرَ منه كما قال ﷺ: (الندمُ توبة)^(٣)، ثم العزمُ على عدم العود إليه مرةً أخرى، فإذا كان ذنبه متعلّقاً بحقوق الآخرين فيضاف إليها شرط رابع وهو وجوبُ إرجاع الحقِّ لأهله، فإن حَقَّق هذه الشروط يتوب الله عليه بإذن

(١) أخرجه مسلم: (٢٧٤٨).

(٢) أخرجه الحاكم: (٧٦٢٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه: (٤٢٥٢).

الله تعالى، فعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ)^(١).

٨. فعل الخير والدعوة إليه:

فعلُ الخير من العبادات العظيمة التي دعت إليها الشريعة الإسلامية، والخير: هو اسم جامع لكلِّ ما يُقَرَّبُ إلى الله ويُعَدُّ من سَخَطِهِ^(٢)، وقد أمرنا ربُّنا -عزَّ وجلَّ- أن نفعل الخير عموماً؛ ويدخل في ذلك سائرُ العبادات والنوافل المتعلقة بالنفس وما يتعلَّق بالآخرين كمساعدتهم ونصحهم وغيره من الأعمال والأقوال، وجعل ذلك من أسباب الفلاح، قال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أُرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝﴾ [الحج: ٧٧].

(١) أخرجه الطبراني: (١٠٢٨١).

(٢) تفسير السعدي، ص ١٤٢.

وَأَمَرْنَا بِالدَّعْوَةِ إِلَى فَعْلِ الْخَيْرِ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَجَعَلَ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الْفَلَاحِ أَيْضًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ووصف الله - عَزَّ وَجَلَّ - الدعوة إليه بأنها أَحْسَنُ الْقَوْلِ فقال - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

ونهانا عن فعل الشر ونشره والإفساد في المقابل؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الْخُسْرَانِ الْمُبِينِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

فمن كان دأبه فعلُ الخير ونشره بين الناس من كلمة طيبة ونصيحة جميلة نافعة ثمرة، وفعل حسن لطيف، ومنع الشر والإفساد في الأرض كان من المفلحين الموفقين بإذن الله تعالى؛ لأنَّ هذا فعلٌ يُحبه الله - عزَّ وجلَّ - ويحثُّ عليه، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

ومن أسباب فلاح الداعي إلى الخير أن الله يكتب أجره وأجر من يعمل بما دعاه إليه إلى يوم القيامة؛ فكم من الحسنات سيكسب بدعوته هذه إلى الخير! وفي المقابل من دعا إلى السيئة فكم من السيئات سيكون عليه يوم القيامة والعياذ بالله!، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى

صَلَاةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامٍ مِنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا^(١).

٩. إقامة الصلاة:

إِنَّ الصَّلَاةَ رَكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَدَلِيلٌ مِنْ أَعْظَمِ أَدَلَّةِ الْإِيمَانِ، وَهِيَ أَوَّلُ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهِيَ الْمِيزَانُ الَّذِي يَحْدُدُ فَلَاحَ الْعَبْدِ مِنْ خَسَارَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ)^(٢).

وإنَّما يكون صلاحُ الصلاة بإقامتها إقامةً صحيحةً، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤﴾

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ [لقمان: ٤-٥]

(١) أخرجه مسلم: (٢٦٧٤).

(٢) أخرجه الترمذي: (٤١٣).

٥]، وتكون إقامتها بالإتيان بِفَرْضِهَا وَنَقْلُهَا فَيَأْتُونَ بِأَفْعَالِهَا الظاهرة، من أركانها وشروطها وواجباتها بل ومُستحباتها، وأفعالها الباطنة وهو الخشوع الذي روحها ولُبُّهَا بِاسْتِحْضَارِ قُرْبِ اللَّهِ وتَدَبُّرِ ما يقول المصلي ويفعله^(١).

وقد أَكَّدَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- الفلاح للخاصع في صلاته فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ١-٢]، فاشترط الخشوع في الصلاة، والخشوع: هو سكون القلب، وانقياد الجوارح له^(٢)، وروي أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ -رحمه الله- نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ يَعْثُ بِلِحْيَتِهِ فِي صَلَاتِهِ، فَقَالَ: لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ^(٣).

(١) تفسير السعدي، ص ٦٠٠.

(٢) ينظر مدارج السالكين لابن القيم، (٢/ ١٩٤).

(٣) قوت القلوب لأبي طالب المكي، (٢/ ١٦٠).

وفي الصلاة تجتمع أنواع كثيرة من العبادات كالذكر وقراءة القرآن وحضور القلب، والتذلل والانكسار إليه -عز وجل- وغيرها من العبادات القلبية والقولية والفعلية، ومن تلکم العبادات الركوع لله تعالى والسجود له، وقد خصَّهما الله -عز وجل- بالذكر لعظيم فضلها وجعلها سبباً للفلاح فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝﴾ [الحج: ٧٧]، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ) (١).

فمن أقام صلاته وحافظ عليها وأداها حق أدائها كان ذلك سبباً لفلاحه في دنياه وآخرته، فإن من وراء هذه الصلاة الخاشعة الدائمة حلول البركة في الرزق والمال والزوجة والعيال، والنَّجاة يوم القيامة بإذن الله تعالى.

(١) أخرجه مسلم: (٤٨٢).

ثالثاً: صفات المفلحين:

ذَكَرَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- صفاتِ المُفلحين في كتابه الكريم، وجاءت صفاتهم مَبْثُوتَةً في السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، بياناً لِفَضْلِهِمْ، وَتَمِيْزاً لَهُمْ عن غيرهم، وَحِثّاً لِّلْاِقْتِدَاءِ بِهِمْ، وَمِنْ تَلَكُمِ الصِّفَاتِ:

الصفة الأولى: الالتزام بأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ:

المؤمن مأمورٌ بِاتِّبَاعِ أوامرِ رَبِّهِ -عزَّ وجلَّ- وَنَبِيِّهِ ﷺ والانتهاءِ عن نواهيه في كُلِّ حالاته، وعدم التأخُّر في الاستجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ، فَإِنَّ أوامرهما فيها الحياة والنَّجاة والرُّشد والفلاح، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وجعل الله -عزَّ وجلَّ- كمال الإيمان في التَّحَاكُمِ إِلَى شَرعِ اللهِ -عزَّ وجلَّ- وَنَبِيِّهِ ﷺ ثم التَّسْلِيمِ لِمَا قَضَاهُ اللهُ وَرَسُولُهُ دُونَ اعْتِرَاضٍ أَوْ اِمْتِعَاضٍ أَوْ ظَنٍّ أَنَّ فِي حَكْمِ الشَّرعِ حَيْفًا وَظُلْمًا، قال تعالى: ﴿فَلَا

وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي
أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ [النساء: ٦٥]، فَمَنْ
لم يتحاكم إلى شرع الله - عزَّ وجلَّ - ولم يرض بحُكمه فإنَّ في إيمانه
نقصاً وريباً لا بُدَّ أن يُراجع نفسه فيه فيُصلِّحه.

وقد وصف الله - عزَّ وجلَّ - أهل النفاق فذكر تأخيرهم في
الاستجابة لأمره فقال عنهم: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ
بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النور: ٤٨] مع علمهم وإيمانهم
بعدل الله - عزَّ وجلَّ - ونبيِّهِ ﷺ، لذلك قال عنهم ربنا - عزَّ وجلَّ -:
﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ أفي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمْ
أُرتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النور: ٤٩-٥٠]، فَهُم بسبب عدم امتثالهم لأوامر ربهم
ونبيِّهم - إلا فيما يتفق مع مصالحهم ويتناسب وغاياتهم - صاروا من
الظالمين.

أَمَّا الْمَفْلِحُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمِنْ صِفَتِهِمْ سُرْعَةُ الِاسْتِجَابَةِ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَنَبِيِّهِ ﷺ، وَالِاتِّزَامُ بِأَوَامِرِهِمَا مَبَاشَرَةً دُونَ تَأْخِيرٍ أَوْ اعْتِرَاضٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥١-٥٢].

الصفة الثانية: القناعة:

إِنَّ صِفَةَ الْقَنَاعَةِ مِنَ الصِّفَاتِ الْعَزِيزَةِ النَّادِرَةِ عِنْدَ النَّاسِ لَا سِيَّمَا فِي زَمَانِنَا هَذَا حَيْثُ ازْدَادَتْ مَظَاهِرُ الدُّنْيَا، وَازْدَادَ حُبُّ التَّفَاخُرِ عِنْدَ الْكَثِيرِ مِنَ النَّاسِ، وَصَارَتْ الْكَمَالِيَّاتُ وَالتَّحْسِينِيَّاتُ بِمَوَازَاةِ الْمَطَالِبِ الْأَسَاسِيَّةِ لِلْحَيَاةِ عِنْدَ الْكَثِيرِ مِنَ النَّاسِ.

وَالْقَنَوَعُ هُوَ الرَّاضِي بِمَا قَسَمَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- لَهُ مِنَ الرِّزْقِ، الْمُكْتَفِي بِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْعَرَضِ، وَقَدْ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْفَلَاحَ مَعَ مَنْ

أوتي من هذه الصفة العظيمة نصيباً، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: (قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه)^(١)، وفي حديث آخر أن رسول الله ﷺ قال: (طوبى لمن هُدي إلى الإسلام، وكان عيشه كفافاً وقنع)^(٢)، ومعنى طوبى: أي ما أطيب عيشه دنيا وأخرى^(٣).

فمن اتّصف بهذه الصّفة كان غنيّ النّفس، غير مُحتاجٍ لأحد من المخلوقين، ولا متكفّفٍ لأحد من الناس أجمعين، وهذا هو الغنى الحقيقي، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: (ليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكنّ الغنى غنيّ النّفس)^(٤)، لذلك قيل في المثل: القناعةُ كنزٌ لا يفنى.

(١) أخرجه مسلم: (١٠٥٤).

(٢) أخرجه الترمذي: (٢٣٤٩).

(٣) فتح القريب المجيب للفيومي، (١٢/٦٧٠).

(٤) أخرجه البخاري: (٦٠٨١)، ومسلم: (١٠٥١).

ومن صفات المؤمنين أنَّهم أعزَّاء غيرُ أذلاء، فهم لا يتذلَّلون إلا لخالقهم -عزَّ وجلَّ-، فعن سهل بن سعد -رضي الله عنه- قال: جاء جبريل -عليه السلام- إلى النبي ﷺ فقال: (يا محمد! عِشْ ما شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، واعمل ما شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ به، وأحِبِّ من شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، واعلم أَنَّ شَرَفَ المؤمن قِيَامُ الليل، وعَزَّهُ استغناؤه عن الناس)^(١).

فمن كان قنوعاً بما رزقه الله -عزَّ وجلَّ- غير مُحتاجٍ لأحدٍ من الناس، ولا متذلِّلٍ لغيره من المخلوقين، مُكتَفياً بما عنده من الرِّزْقِ، غير طامعٍ لما في أيدي غيره من الناس، غير مُتَحَسِّرٍ على ما فاتته من الدُّنيا؛ ولا ساعٍ سعيًّا فيه هلاكُ نفسه وضياعُ دينه وأهله وأبنائه؛ كان من المُفلحين في الدنيا والآخرة بإذن الله تعالى.

(١) أخرجه الطبراني: (٤٢٧٨).

الصفة الثالثة: الصدق في القول والعمل:

الصدق من الصفات الحميدة والتي فُطِرَ الناس على حُبِّها وحبِّ صاحبها، وأما الكذب والخيانة فهي من الصفات السيئة التي يُبغضها الناس بفطرتهم السليمة.

وقد حثَّ ديننا على الصدق في القول والعمل وعزَّز هذه الصفة الحميدة في نفوس المسلمين، وأمرهم بالامتنال بها، وحثَّهم على التحلِّي بها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

والصدق من صفات الله -عزَّ وجلَّ-، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

وهو من صفات الأنبياء -عليهم السلام-، قال الله -عزَّ وجلَّ- عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكُتُبِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا

نَبِيًّا ﴿٥١﴾ [مريم: ٤٦]، وقال الله -عزَّ وجلَّ- عن ابنه إسماعيل -عليه السلام-: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [مريم: ٥٤]، ووصف الله -عزَّ وجلَّ- إدريس -عليه السلام- بذلك فقال عنه: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم: ٥٦-٥٧].

ونبيُّنا محمد ﷺ كان أصدق الناس من قبل مبعثه، فقد جاء في الحديث عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنَّ النبيَّ ﷺ لما أُمر بدعوة فُرُش صَعَدَ عَلَى الصَّفا فَجَعَلَ يُنَادِي فِيهِمْ فَقَالَ: (أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ أَكْتُمَ مُصَدِّقِي). قالوا: نعم، ما جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صَدَقًا، قال: (فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)^(١)، وكان يُلقَّبُ بالصادق الأمين.

(١) أخرجه البخاري: (٤٤٩٢).

والصِّدْق: هو استواء السِّرِّ والعلانية^(١)، ويكون الصِّدْقُ بين العبد وربِّه، وفي تعامله مع غيره من المخلوقين، ومع نفسه.

فالأوَّل: يدخل في إخلاص العبادة لله تعالى وحده، واتباع أوامره واجتناب نواهيه، وأعماله الظَّاهرة والباطنة لله تعالى.

والثاني: في صدق الحديث وعدم الكذب والغشِّ والخداع، وحسن النِّيَّة وصفائها، والنُّصح لهم.

والثالث: في عدم إهمال النَّفس وغشِّها وخداعها، بل بمتابعتها ومحاسبتها، ومداراتها وعدم تركها وما تشتهي.

ولعظيم صفة الصِّدْق فقد وعد الله - عزَّ وجلَّ - أهل الصِّدْق بجنَّات النعيم فقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

(١) بستان العارفين للنووي، ص ٢٨.

وعن طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدٍ اللَّهِ - رضي الله عنه - قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ من أهل نَجْدٍ، نائِرَ الرَّأْسِ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ وَلَا يُفْقَهُ ما يقول، حتى دَنَا، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: (خمسُ صلواتٍ في اليوم والليلة) فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: (لا، إلا أن تطوعَ). قال رسول الله ﷺ: (وصيامُ رمضان). قال هل عليَّ غيره؟ قال: (لا، إلا أن تطوعَ). قال: وذكرَ له رسول الله ﷺ الزَّكَاةَ، قال: هل عليَّ غيرها؟ قال: (لا، إلا أن تطوعَ). قال: فأدبر الرَّجُلُ وهو يقول: والله لا أزيدُ على هذا ولا أنقصُ، قال رسول الله ﷺ: (أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ)^(١).

فهذا الرَّجُلُ على قِلَّةِ عمله، وبُعْدِ لُغَتِهِ التي لم يفهمها الرَّاوي، ورثاثة لباسه إلا أنَّ الرسول جعله من المفلحين إن صدق فيما قال.

(١) أخرجه البخاري: (٤٦) ومسلم: (١١).

رابعاً: صفات المفلحين في سورة المؤمنون:

جدير بالذكر أن نَلْتَفِتْ إلى ما ذكره الله جل وعلا في أوّل سورة المؤمنون من الصفات حيث افتتحها بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]، وأسلوب التأكيد هذا بتحقيق الفلاح للمؤمنين فيه بشارة لهم أولاً، ثم تشويق لهم لسماع ما سيأتي بعده من الخطاب والذي يذكر صفات هؤلاء المؤمنين للتأسي بهم^(١).

الصفة الأولى: الخُشوع في الصلاة.

ابتدأ الله - عزَّ وجلَّ - صفات المفلحين بصفة الخُشوع في الصلاة، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَلِشْعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]، وهذه الصفة من أعظم صفات المفلحين؛ والدليل على ذلك أن الله - عزَّ وجلَّ - ابتدأ بها، وجاء في الحديث عن عثمان بن عفّان - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من امرئٍ مُسلمٍ تحضره

(١) ينظر التحرير والتنوير لابن عاشور، (٩ / ١٨).

صلاة مكتوبة، فيُحسن وُضوءها وخُشوعها ورُكوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة، وذلك الدهر كله^(١).

ولأهمية الخشوع كان ركنًا من أركان الصلاة لا تُقبل إلا به فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: (إن الرجل ليصلي ستين سنة وما تُقبل له صلاة، لعله يَتِمَّ الركوع، ولا يَتِمَّ السجود، ويَتِمَّ السجود ولا يَتِمَّ الركوع)^(٢)، وقد سبق الحديث عن صفة الخشوع في الصلاة بشيء من التفصيل^(٣).

والمؤمن خاشعٌ ساكن في كلِّ أموره، مُستقرُّ النَّفس، هادئ البال، مُنشرح الصدر، مطمئنُّ الفؤاد، يُؤمن بتقدير الله تعالى وِرزقه، فتراه محافظًا على أحسن أخلاقه في أشدِّ ظروفه وأصعبها، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ

(١) أخرجه مسلم: (٢٢٨).

(٢) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب: (٥٨٩).

(٣) يرجع ص ٣٣ إلى ٣٦.

الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ [الفرقان: ٦٣]، بخلاف المنافقين فَهُمْ فِي غاية الضَّعْف والهَلَع والجَزَع والجُبْن؛ ولهذا قال تعالى عنهم: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤] أي: كلما وقع أمرٌ أو كائنةٌ أو خوف، يعتقدون لجبنهم أنه نازلٌ بهم^(١)، لذلك يلجأ المنافقون إلى الخداع والمكر والحلف والكذب، واتخاذ أساليب غير سويّة للوصول إلى غاياتهم أو النجاة من المشكلات التي تقع عليهم، ظناً منهم أنهم نَجَوْا بذلك، قال الله - عزَّ وجلَّ - عنهم: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مُدْخَلًا لَّوَلُّوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [التوبة: ٥٦- ٥٧]، إلا أنَّ المؤمن خاشعٌ خاضِعٌ لله تعالى، لا يسلك إلا أصوب المسالك في حياته ليكون بذلك من المفلحين الفائزين.

(١) ينظر تفسير ابن كثير، (٨/ ١٢٦).

الصفة الثانية: الإعراض عن اللغو:

ذكر الله -عزَّ وجلَّ- الصفة الثانية التي تميَّز بها أهل الفلاح فقال:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (٣) [المؤمنون: ٣]، واللغو هو كل

ما نهى الله سبحانه وتعالى عنه مما لا يفيد المؤمن، وكل ما أشغل عن

ذكر الله -عزَّ وجلَّ- فهو من اللغو، سواء كان كلاماً باطلاً: كالغيبة

والنميمة والكذب والسب وغيره، أو الأفعال المحرمة التي تبدأ من

الشرك وتنتهي بأصغر محرّم.

فالمؤمنون من صفاتهم الصدُّ والإعراض عن اللغو، قال تعالى:

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (٧٢) [الفرقان: ٧٢]، أي: إذا سمعوا

الكلام القبيح أكرموا أنفسهم عن الدخول فيه^(١).

وقد أمر الله -عزَّ وجلَّ- نبيه ﷺ أن يجتنب مجالس اللغو فقال له:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي

(١) تفسير البغوي، (٥/ ٤٠٩).

حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ [الأنعام: ٦٨]، ومن صفات الكفار أَنَّهُمْ أَهْلُ لُغُو
وَباطِل لذلك قالوا لبعضهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا
الْقُرْآنِ وَالْغَوَّ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

فمن كان الإعراض عن اللُّغُو من صفاته كان من المفلحين؛ لأنَّه
اجْتَنَبَ بذلك كُلَّ باطل من قول أو فعل فَيَسْلَمُ بذلك من كُلِّ فساد،
وَيَنْجُو فيكون من أَهْلِ الْفلاح والرَّشاد، لأنَّ أَهْلَ اللُّغُو والباطل
يُؤَثِّرُونَ على من يصاحبهم فيُحَسِّبُ منهم وَيُؤَاخِذُ معهم، لذلك قال
الله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ
إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا
﴿١﴾﴾ [النساء: ١٤٠].

الصفة الثالثة: أداء الزكاة:

ذكر الله - عزَّ وجلَّ - الصفة الثالثة التي اتصف بها أهل الفلاح في هذا السياق وهي أداء الزكاة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤]، والزكاة ركن من أركان الإسلام الخمس العظيمة، فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (بُني الإسلام على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، وإقامُ الصلاة، وإيتاءُ الزكاة، والحجُّ، وصومُ رمضان)^(١).

فَمِنْ صفات المُفلحين أنهم يؤدُّون ما عليهم من الزكاة المفروضة، ويؤدُّون حقَّ الفقراء والمساكين من أموال الأغنياء، فقد جاء في الحديث قوله ﷺ لما بعثَ معاذاً - رضي الله عنه - إلى اليَمَن:

(١) أخرجه البخاري: (٨) ومسلم: (٢٠).

(فَاعْلَمِهِمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ) (١).

وقد سلّم أهل الزكاة وأفلحوا لأنّهم نَجَوْا مِنْ عِقَابِ مَنْعِ الزَّكَاةِ، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ۝٣٥﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥] وغيرها من الآيات والأحاديث.

وفي مقابل أهل الفلاح والإيمان الذين يؤدّون زكاة أموالهم، أهل النفاق والخسران الذين يمنعون زكاة أموالهم ويقبضون أيديهم، قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ

(١) أخرجه البخاري: (١٣٣١).

الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ [التوبة: ٦٧-٦٨].

وقد جَمَعَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- بين الخشوع في الصلاة وإيتاء الزكاة في هذه الآيات؛ فهؤلاء المُفْلِحُونَ أحسنوا في عبادة الخالق بخشوعهم في صلاتهم فأدَّوْا حَقَّهُ، وأحسنوا في معاملتهم للخلق بأداء الزكاة إليهم وإعطائهم حَقَّهُمْ، فجمعوا الإحسان إلى الخالق وإلى المخلوقين^(١)، وكثيراً ما يقرن الله -عَزَّ وَجَلَّ- بين الصلاة والزكاة في القرآن جمعاً بين حقه تعالى وحق عباده إشارةً للإتيان بهما.

(١) ينظر تفسير السعدي، ص ٥٤٧.

الصفة الرابعة: العِفَّة:

ذَكَرَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- صِفَةَ الْعِفَّةِ ضِمْنَ صِفَاتِ الْمَفْلَحِينَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٦٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [المؤمنون: ٥-٦].

فَأَهْلُ الْفَلَاحِ هُمُ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ، وَيَتَرَفَّعُونَ عَنِ الْفَوَاحِشِ كَالزَّانَا وَمَا فِي وَصْفِهِ، وَقَدْ أَثْنَى اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- عَلَى عِبَادِ الرَّحْمَنِ وَذَكَرَ ذَلِكَ مِنْ ضِمْنِ صِفَاتِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٨-٦٩].

وَمَنْ حَفِظَ الْفَرْجَ أَنْ يَبْتَغِيَ الْمَرْءَ عَنْ كُلِّ مَا يَدْعُو إِلَى الزَّانَا، وَأَنْ يَقْطَعَ السَّبِيلَ عَلَى كُلِّ مَا يَهِيجُ النَّفْسَ إِلَيْهِ مِنَ النَّظَرِ وَالسَّمْعِ وَالْحَدِيثِ وَاللَّمْسِ وَغَيْرِهِ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ بِذَلِكَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانِيَ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢]، وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ

أبي هريرة عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزَّنا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَرِنا الْعَيْنَ النَّظَرَ، وَزِنا اللِّسانَ الْمَنْطِقَ، وَالنَّفْسَ تَتَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ أَوْ يُكَذِّبُهُ) (١).

فَالْعَيْنُ وَاللِّسانُ وَالْجَوَارِحُ تُمَهِّدُ لِلزَّنا وَالْوُقُوعُ فِي الْفَاحِشَةِ ثُمَّ يُصَدِّقُ الْفَرْجُ ذَلِكَ أَوْ لَا؛ لِذَلِكَ كَانَ مِمَّا يَنْبَغِي عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَحْذَرَ مِنْهُ وَأَنْ لَا يَنْجَرَ بِسَبَبِهَا إِلَى الْمَعْصِيَةِ، وَأَنْ يَحْرُسَهَا وَيُرَاقِبَهَا.

ثم قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ ﴿٧﴾ [المؤمنون: ٧]، وَذَكَرَ هُنَا الَّذِينَ يَعْتَدُونَ حُدُودَ اللَّهِ تَعَالَى فَيَقْعُونَ فِي الزَّنا وَيَتَخَذُونَ غَيْرَ السَّبِيلِ الَّذِي أَحَلَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ وَالْمَنْفَعَةَ الَّتِي أَبَاحَ لَهُمْ لِقَضَاءِ وَطَرِهِمْ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ

(١) أخرجه البخاري: (٥٨٨٩).

سَيِّلًا ﴿٣٢﴾ [الإسراء: ٣٢]، وَأَسْمَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى (العادون) أَي: الْمُجَاوِزُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ إِلَى مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ^(١).

الصفة الخامسة: مراعاة العهد والأمانة:

حِفْظُ الْعَهْدِ وَمُرَاعَاةُ الْأَمَانَةِ مِنْ صِفَاتِ الْمُفْلِحِينَ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ ﴿٨﴾ [المؤمنون: ٨].
والأمانة على قسمين:

الأولى: مَا كَانَتْ حَقًّا لِلَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ بِأَدَاءِ مَا أَوْجَبَهُ مِنَ الْفَرَائِضِ؛ كَأَدَاءِ الصَّلَوَاتِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصِدْقِ الْحَدِيثِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْعِبَادَاتِ، فَمَنْ ضَيَّعَهَا عَذَّبَهُ^(٢)؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ

(١) تفسير الطبري، (١٧/ ١٢).

(٢) ينظر تفسير البغوي، (٦/ ٣٨٠).

أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَنُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا
جَهُولًا ﴿[الأحزاب: ٧٢].

والثانية: ما كانت حقًا من حقوق العباد، وهي الحقوق التي أوجبها
الله - عزَّ وجلَّ - على عباده تُجَاه الآخرين من الخلق؛ كأمانات الأموال
والأسرار والأعراض وغيرها من الحقوق، والتي يدخل فيها حق الآباء
والأبناء والأزواج والأهل والجيران وجميع المسلمين والمخلوقين،
قال ربنا - عزَّ وجلَّ -: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى
أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، ويدخل في ذلك حقُّ الفقراء والمساكين من
أموال الأغنياء التي فرَضها الله - عزَّ وجلَّ - عليهم؛ فأداء حقوقهم من
أسباب الفلاح، قال تعالى: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ
السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
﴿[الروم: ٣٨]، ولَمَّا بعث النبي ﷺ معاذًا - رضي الله عنه - إلى

اليمن قال موصياً: (فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فُتْرُدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ)^(١)، وهي الزكاة.

والأمانة من صفات خير الخلق وهم الأنبياء، لذلك كان الأنبياء إذا بُعثوا إلى أقوامهم فإنَّ من أوائل ما يدعونهم إليه الأمانة، وكلُّ نبيٍّ أُرسل إلى قومه يؤكد لهم أمانته وصدقه فيقول عن نفسه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٧٨]، ونبيُّنا ﷺ كان يُدعى بالصادق الأمين.

وقد نفى النبي ﷺ صفة الإيمان عمَّن لا أمانة له ولا عهد، فعن أنسٍ -رضي الله عنه- أنَّ رسول الله ﷺ قال: (لا إيمانَ لِمَنْ لا أمانةَ لَهُ، ولا دينَ لِمَنْ لا عهدَ لَهُ)^(٢) والنفي هنا نفْيٌ لكمال الإيمان كما قال العلماء، وحذّر ربُّنا جلَّ وعلا من خيانة الأمانة وتضييعها فقال تعالى:

(١) أخرجه البخاري: (١٤٢٥) ومسلم: (٢٩).

(٢) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب: (٣٠٠٤).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وَجَعَلَ نَبِيْنَا ﷺ ضِيَاعَ الْأَمَانَةِ دَلِيلًا عَلَى اقْتِرَابِ السَّاعَةِ؛ وَالتِّي لَا تَقُومُ إِلَّا عَلَى شَرَارِ الْخَلْقِ وَفِي أَشَرِّ زَمَانٍ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ). قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (إِذَا أُسْنِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ)^(١).

فَأَهْلُ الْفَلَاحِ هُمُ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ أَمَانَاتِهِمْ، وَيُرْعُونَ حَقُوقَ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَحَقُوقَ نَبِيِّهِ ﷺ، وَحَقُوقَ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، وَلَا يَخُونُونَ عَهْدًا وَلَا ذِمَّةً وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَوْ ضِدَّ مَصَالِحِهِمْ، وَهُمْ عَلَى قَدَرٍ مَسْئُولِيَّاتِهِمُ الَّتِي وَكَّلُوا بِهَا كَمَا أَمَرَهُمُ رَبُّنَا -عَزَّ وَجَلَّ- فَقَالَ: ﴿يَأْتِيهَا

(١) أخرجه البخاري: (٦١٣١).

الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ
الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴿١٣٥﴾ [النساء: ١٣٥].

الصفة السادسة: المحافظة على الصلوات:

المحافظة على الصلوات من أسباب الفلاح فقد ذكر الله -عزَّ وجلَّ- من جُملة المفلحين المحافظين على صلاتهم فقال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [المؤمنون: ٩]، ومن
المُحافظة على الصلاة بأن تُصلَّى في وقتها وعدم تأخيرها حتى خروج
الوقت، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ
سَاهُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الماعون: ٤-٥]، أي: الغافلون عنها المؤخرون لها عن
وقتها^(١)، أما من يتركها بالكلية فهذا يُخشى عليه من العذاب الأليم.

وكَلَّما صَلَّاهَا المؤمن في أوَّل وقتها كان ذلك أحبَّ إلى الله -عزَّ وجلَّ-
وجَلَّ - وأعظم، فقد جاء في الحديث عن عبد الله بن مسعود -رضي

(١) ينظر تفسير الجلالين، ص ٨٢٣.

الله عنه - قال: سألتُ النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: (الصلاةُ على وقتها)^(١).

والصلاة في جماعة من أسباب الفلاح فحين ينادي المؤذن بدخول الوقت وإقامة الصلاة فإنه ينادي: (حيَّ على الفلاح)؛ دعوةً للمؤمنين بأداء أعظم أسباب الفلاح وهي الصلاة في جماعة، والاجتماع مع المسلمين عليها لتحقيق هذا الأمر الرباني العظيم الموجب للفلاح. وكما أنه جلَّ وعلا ابتداءً بالصلاة في سياق ذكر المفلحين من المؤمنين وصفاتهم في أوَّل السُّورة فَذَكَرَ أهمَّ أركانها وهو الخشوع، اختتم الصفات بالصلاة كذلك وخصَّ صفة المحافظة عليها فقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ [المؤمنون: ٩]، وهذا دليل على عِظَم أمر هذه الصلاة عند الله جلَّ وعلا^(٢).

(١) أخرجه البخاري: (٥٠٤) ومسلم: (١٣٩).

(٢) ينظر محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي، (٢٨٣/٧).

خامسًا: موانع الفلاح:

كما أنَّ للفلاح أسباباً وصفاتٍ توصل إليه فإنَّ له موانع وصفاتٍ تقطع الطريق إليه، وقد حذَّر الله -عزَّ وجلَّ- من الوقوع في هذه الأعمال ونهى عن تلكم الصفات السيئة وأمر باجتنابها، لذلك ينبغي لمن أراد إدراك الفلاح وأن يكون من المفلحين أن يتعلَّم ما يمنعُ الفلاح ليَجْتَنِبَهُ ويتعد عنه ويحذر منه، ومن تلكم الموانع:

١. الكفر والشرك بالله:

إنَّ الكفر والشرك بالله من أعظم أسباب الخسارة، ومن أكبر موانع الفلاح على الإطلاق، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، والشرك بالله سبَّب من أسباب إحباط العمل كُلِّهِ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ

الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦]، ومن حَبِطَ عمله في الدنيا والآخرة
فإنَّه من الخاسرين.

وقد عرَّفَ نبينا ﷺ الشرك، فقد جاء في الحديث عن عبد الله -
رضي الله عنه- قال: سألت النبي ﷺ: أي الذَّنْبُ أعظمُ عند الله؟ قال:
(أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ). قلت: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ^(١)، أي: أن تجعل
مساوياً لله في العبادة.

والسَّبَبُ في ذلك أَنَّ الله -عَزَّ وَجَلَّ- لم يخلق السماوات
والأرضين وجميع الخلق إلا لعبادته وحده؛ فمن أشرك وكفر بالله لم
يؤدِّ المقصود الأعظم من خَلْقِهِ وإيجاده في هذه الدنيا لذلك كان من
أعظم الخاسرين، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ
أَعِظُكُمْ﴾ [الذاريات: ٥٦]، أي: إلا لِيُوحِّدُونِي^(٢).

(١) أخرجه البخاري: (٤٢٠٧) ومسلم: (١٤١).

(٢) تفسير البغوي، (٧/ ٣٨١).

٢. الظلم:

حَذَّرَ رَبُّنَا -عَزَّ وَجَلَّ- من الظلم وأنواعه وجعله من أسباب
الخسارة ونَفَى الفلاح عن المرء، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ
بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا
يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [القصص: ٣٧]، ونهى النبي ﷺ عن الوقوع في
الظُّلْمَ وَقَبَّحَهُ أَشَدَّ تَقْبِيحٍ وجعل عاقبة الظُّلْمِ وخيمةً على صاحبه يوم
القيامة، فقد جاء في الحديث عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-
قال: قال رسول الله ﷺ: (الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^(١)، وعن أبي
موسى -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِي
لِلظَّالِمِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ). قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخَذُ رَبُّكَ إِذَا
أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢]^(٢).

(١) أخرجه البخاري: (٢٣١٥) ومسلم: (٢٥٧٨).

(٢) أخرجه البخاري: (٤٤٠٩) ومسلم: (٢٥٨٣).

والظلم ثلاثة أنواع^(١):

النوع الأول: ظلم لا يغفره الله - عز وجل -، وهو الشرك به، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وهذا الظلم يوقعه المرء على نفسه، وهو أعظم أنواع الظلم، جاء في الحديث عن عبد الله - رضي الله عنه - قال:

لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ، وقالوا: أيُّنا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: (لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لابنه: ﴿يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]^(٢)).

(١) ينظر بهجة قلوب الأبرار للسعدي، ص ٥٣.

(٢) أخرجه البخاري: (٦٥٣٨).

النوع الثالث: ظلمٌ يجعل الله -عزَّ وجلَّ- أهله تحت مشيئته؛ إن شاء عاقب عليه، وإن شاء عفا عنهم، وهو الذُّنوب التي بين العباد وبين ربِّهم فيما دون الشرك، فإنَّ الله سبحانه وتعالى يغفر لمن يشاء ويُعذِّب

 γ

من يشاء من عباده، ولكن ينبغي للمرء ألا يستهين بهذه الذنوب والمعاصي بحجة أن الله غفور رحيم فإنه أيضاً شديد العقاب.

٣. السَّحَر:

إنَّ من الذنوب العظيمة والآثام الكبيرة: السَّحَر، فهو من السَّعِج الموبقات العظيمة التي حذَّر منها نبيُّنا ﷺ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: (اجتنبوا السَّعِج الموبقات). قالوا: يا رسول الله: وما هُنَّ؟ قال: (الشرك بالله، والسَّحَر، وقتل النَّفس التي حَرَّمَ الله إلاَّ بالحق، وأكل الرِّبَا، وأكل مال اليتيم، والتَّوَلَّى يوم الزَّحف، وقَذْفُ المُحصنات المؤمنات الغافلات)^(١).

وقد نفى الله - عزَّ وجلَّ - الفلاح عن السَّاحِر فقال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ ﴿٦٩﴾ [طه: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ [يونس: ٧٧]؛ لأنَّ السَّحَر منافٍ للتوحيد، وناقضٌ من

(١) أخرجه البخاري: (٢٦١٥) ومسلم: (١٤٥).

نواقض الإيمان بالله عز وجل، وتعامل مع الجن والشياطين، وظلم وضلال، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وفي السحر إفسادٌ عظيم، وشرٌّ كبير، وضررٌ على الناس، واعتداءٌ عليهم، وتدميرٌ لحياتهم؛ فقد يؤدي إلى المرض وحتى الموت، ويفرق بين الزوجين والأحباب، والأهل والأصحاب، ويفتن الناس في أديانهم وعقائدهم وأنفسهم، ويزرع الوهم والخُرافة في العقول.

ومن تعاطى السحر فإنه يبيع دينه به كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: ١٠٢]، قال الإمام البغوي: "﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ أي: اختار السحر ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ أي: في الجنة من نصيب ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ﴾ باعوا به ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ حظَّ

أَنْفُسِهِمْ، حَيْثُ اخْتَارُوا السَّحْرَ وَالْكَفْرَ عَلَى الدِّينِ وَالْحَقِّ ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (١٢) ﴿١١﴾.

وَمِنْ أَتَى سَاحِرًا أَوْ كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَقَدْ وَقَعَ فِيمَا يَقَعُ فِيهِ السَّاحِرُ مِنَ الْبَغْيِ وَالظُّلْمِ، لِذَلِكَ كَانَتْ عَقُوبَتُهُ وَخِيْمَةُ فَقْدِ جَاءٍ فِي الْحَدِيثِ عَنْ عُمَرَ بْنِ حَصِينٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تَطَيَّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تَكَهَّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سَحَرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ) (١).

لِذَلِكَ يَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ الْفَلَاحَ أَنْ يَجْتَنِبَ السَّحْرَ وَتَعَاطِيَهُ، لَا سِيَّمَا وَقَدْ انْتَشَرَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَاسْتُسْهِلَ أَمْرُهُ؛ بِسَبَبِ الْجَهْلِ بِحُكْمِهِ، وَضَعْفِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَابْتَعَادٍ عَنْ تَعَالِيمِ الدِّينِ الْحَنِيفِ.

(١) تفسير البغوي، (١/ ١٣٢).

(٢) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب: (٣٠٤١).

٤. ارتكاب الذنوب والمعاصي:

إنَّ ارتكاب الذُّنُوبِ والمَعَاصِي من الأمور التي تحجب الخير عن صاحبها، وتمنع البركة والرِّزْق والفلاح في الدنيا والآخرة، وتورث الخسارة والخذلان، بل إنَّ ضررها يقع على المجتمع قبل الفرد إذا كثرت وانتشرت، كما وقع العذاب على الأمم السابقة بسبب ذنوبهم ومعاصيهم ومجاهرتهم بها، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [النحل: ١١٢-١١٣]، وقد سألت أُم المؤمنين زينب بنت جحش -رضي الله عنها- رسول الله ﷺ فقالت له: أَنَهْلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: (نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ)^(١).

(١) أخرجه البخاري: (٣١٦٨) ومسلم: (٢٨٨٠).

وقد يستهين المرء بالذنب الصغير ويستمر عليه ويستسهله، ويظن أنه مغفور له، ويغفل عن كونه استهان بنهي الله - عز وجل -، واستصغر أمر الخطيئة، وأمن مكر الله - عز وجل -، واسترسل فيه؛ فإن ذلك من أكبر أسباب الهلاك والشقاء، فعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (إياكم ومُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فإنهنَّ يجتمعنَّ على الرجل حتى يهلكنه)، وإنَّ رسول الله ﷺ ضَرَبَ لهنَّ مثلاً، كمثِّلِ قوم نَزَلُوا أرضَ فَلَاةٍ، فَحَضَرَ صَنِيعُ القومِ، فجعل الرَّجلُ ينطلق فيجيء بالعود، والرَّجلُ يجيء بالعود، حتى جمعوا سَواداً، فَأَجَّجُوا ناراً، وَأَنْضَجُوا ما قَذَفُوا فيها^(١).

وللمعصية شؤمٌ على صاحبها؛ تمنع عنه الخير، وتطمس نور قلبه، وتمحق بركة عمله، فعن الحسن البصري - رحمه الله - أنه قال: "من

(١) أخرجه أحمد: (٣٨١٨).

عمل حَسَنَةٌ وَإِنْ صَغُرَتْ أَوْرَثَتْهُ نَوْرًا فِي قَلْبِهِ وَقُوَّةً فِي عَمَلِهِ، وَإِنْ عَمِلَ سَيِّئَةً وَإِنْ صَغُرَتْ فَاحْتَرَقَتْهَا أَوْرَثَتْهُ ظُلْمَةً فِي قَلْبِهِ وَضَعْفًا فِي عَمَلِهِ"^(١).
فَالْمُفْلِحُ مَنْ تَدَارَكَ نَفْسَهُ وَأَكْثَرَ مِنَ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ بَعْدَ الذَّنْبِ
وَالْمَعْصِيَةِ، إِذْ لَيْسَ الشَّأْنُ إِلَّا يُذْنِبَ الْإِنْسَانُ، وَلَكِنْ الشَّأْنُ أَنْ يَتُوبَ
بَعْدَ الذَّنْبِ وَيَسْتَغْفِرَ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (كُلُّ بَنِي آدَمَ
خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)^(٢).

سادساً: ثواب المفْلِحِينَ:

أَثَابَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- أَهْلَ الْفَلَاحِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،
الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَسْبَابَ الْفَلَاحِ وَاجْتَنَبُوا مَوَانِعَهُ، وَكَافَاهُمْ عَلَى حُسْنِ
صَنِيعِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَامْتَثَلَهُمْ أَمْرَهُ، وَصَبَرَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ وَالْبُعْدِ عَنْ
مَعْصِيَتِهِ، وَالْإِلْتِزَامِ بِمَا دَلَّاهُمْ عَلَيْهِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

(١) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعْبِ الْإِيمَانِ: (٧٢١٩).

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ: (٤٢٥١).

١ . وراثة الفردوس :

لَمَّا ذَكَرَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- صِفَاتِ الْمُفْلِحِينَ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ أَكَّدَ فِي خِتَامِهَا مَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ وَالْفَضْلِ الْكَبِيرِ وَالْجَزَاءِ الْحَسَنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [١٠-١١]، وَقَدْ نَادَاهُمُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- بِصِغَةِ النَّدَاءِ فَقَالَ: ﴿أُولَئِكَ﴾ تَعْظِيمًا لَهُمْ وَتَشْرِيفًا لِمَقَامِهِمْ، فَهُمْ الْأَحْقَاءُ بِهَذَا الثَّوَابِ الْعَظِيمِ لِمَا عَمِلُوهُ وَاتَّصَفَوْا بِهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾﴾ أَي: الَّذِينَ وَرِثُوا ذَلِكَ الْمَكَانَ الرَّفِيعَ فِي الْجَنَّةِ مِمَّنْ لَمْ يَدْخُلْهَا مِنَ الْكُفَّارِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنَزِلَانِ: مَنَزَلٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنَزَلٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ، وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَزَلَهُ) فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾﴾^(١).

(١) أخرجه ابن ماجه: (٤٣٤١).

وذكر الله -عزَّ وجلَّ- أنَّ طريقة استحقاقهم لهذه المكانة العالية بالوراثة؛ لأنَّ الوراثة هي أقوى الأسباب لاستحقاق المال تأكيداً لِسَعِيهِمْ واجتهادهم وحِرْصهم في الدُّنيا، كما قال تعالى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ [الأعراف: ٤٣]^(١).

ثم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿١١﴾

والفِرْدَوْس هو أعلى مراتب الجَنَّة على الإطلاق، فقد أفلحوا وفازوا بِنَيْلِهِمْ هذا الفضل العظيم وهذه المنزلة العالية الرفيعة بسبب أعمالهم التي قَدَّموها خالصةً لله -عزَّ وجلَّ-، فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ)^(٢)، وبما أنَّ المكافأة تكون من جنس العمل

(١) ينظر التحرير والتنوير، (٢٠ / ١٨).

(٢) أخرجه البخاري: (٦٩٨٧).

نفسه فلائهم حُلُوا من صِفات الخير أعلاها وذُرُوتها وأَفْضَلُها وأَحْلاها، نالوا في الجَنَّةِ أعلى مكانةٍ ونَزَلُوا عند الله أَفْضَل مَنزِلَةٍ وأَرْقاها^(١).

٢. ثقل الموازين يوم القيامة:

مِنْ مقاييس الفوز يوم القيامة وَزْنُ الأعمال؛ فمن ثَقُلَ ميزانُ عمله يوم القيامة ورجحت كَفَّتَه كان من المفلحين الفائزين، ومن خَفَّ ميزان عمله يوم القيامة وطاشت كَفَّتَه كان من الخاسرين.

وقد أَكَّدَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- ثَقْلَ ميزان أهل الفلاح يوم القيامة في كتابه فقال -جَلَّ جلاله-: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝^(٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ۝^(٩)﴾ [الأعراف: ٨-٩]، وكما قال تعالى في سورة القارعة: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝^(٦) فَهُوَ فِي

(١) ينظر تفسير السعدي، ص ٥٤٧.

عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ [القارعة: ٦-٧]، يعني: في الجنة^(١)، ثم قال تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ٦-٧]، أي: من رجحت سيئاته على حسناته

﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ قيل: معناه: فهو ساقط هاوٍ بأم رأسه في نار جهنم،

وقيل: بأن وصف الهاوية بأمه؛ لأنه لا مأوى له غيرها^(٢).

٣. حصول الخيرات في الدنيا والآخرة:

مَنْ عَمِلَ بِأَسْبَابِ الْفَلَاحِ وَسَعَى لَتَحْصِيلِهَا السَّعْيِ الْحَثِيثِ
بِمُجَاهَدَةِ نَفْسِهِ وَتَقْوِيمِهَا وَإِلْزَامِهَا وَمُحَاسَبَتِهَا حِسَابًا شَدِيدًا حَتَّى
تَسْتَقِيمَ لَهُ فَلَا بَدَّ وَأَنْ يَحْصَلَ لَهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ الْعَظِيمَةِ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ، قَالَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا
وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فمن جاهد نفسه على

(١) تفسير ابن كثير، (٨/ ٤٦٨).

(٢) المصدر السابق.

الطاعة وفِعْل الخير ومخالفة هوى نفسه، والثبات على الحق والطريق
المُسْتَقِيم، فَإِنَّ اللَّهَ - سبحانه وتعالى - سَيُوفِّقُهُ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَطَرِيقِ
الهُدَى وَالْخَيْرِ، وَيَرْزُقُهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَزِيدُهُ هُدًى وَتَوْفِيقًا بِإِذْنِهِ، وَيَحْفَظُهُ
مِنَ السُّوءِ وَالشَّرِّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ
تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

وقد وَعَدَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - نَبِيَّهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِحُصُولِ
الْخَيْرَاتِ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٨٨] أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [التوبة: ٨٨-٨٩]، والخيرات يدخل فيها
عموم الخير الدنيوي والأخروي^(١)، وقد حَصَّ اللَّهُ الْفَضْلَ الْآخِرِيَّ
بِالذِّكْرِ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ فَقَالَ: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

(١) ينظر محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي، (٥/ ٤٧٥).

الْأَنْهَرُ خَلِيدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ [التوبة: ٨٩] لَأَنَّهُ أَدُومٌ وَأَفْضَلُ وَأَبْقَى لِلْمَرَّةِ، كما قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ﴿١٧﴾ [الأعلى: ١٧].

فمن عمل بأسباب الفلاح وَفَّقَ في الدنيا بمحبة الناس له، ومعونتهم وتقديرهم، ووهبَ من الله تعالى الرِّزْقَ الذي يؤويه ويكفيه ويستُرّه، ونال من زوجته وأبنائه وأرحامه الخير -بإذن الله تعالى-، وَوَفَّقَ في الآخرة بدخول الجنةِ مكافأةً له من الله تعالى؛ فهذا كُلُّهُ من الخيرات.

الخاتمة.

إنَّ سعي المؤمن إلى الفلاح في الدنيا والآخرة مرهونٌ بفعل الأعمال الصالحة، وأعلاها توحيد الله تعالى ثم الإتيان بأركان الإسلام والإيمان وحُسن الخُلق وغيرها من الأعمال الحسنة والتي تجتمعُ في الإحسان إلى الخالق والمخلوقين.

وكذلك مرهونٌ باجتنب المعاصي والذنوب، وأشدُّها الشركُ بالله -عزَّ وجلَّ- ثم نواقض الإسلام، والكبائر من الذُّنوب والمعاصي ويلحقها الإصرار على الصغائر.

فبقدر ما يأتيه المرء من الأعمال الصالحة ويجتنبه من الأعمال السيئة يُدرك الفلاح، وبقدر ما يتركه من الأعمال الصالحة ويأتيه من الأعمال السيئة يبتعد عن الفلاح في الدنيا والآخرة.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المحتويات:

المقدمة	٣
أولاً: مفهوم الفلاح:	٦
ثانياً: أسباب الفلاح:	٨
ثالثاً: صفات المفلحين:	٤١
رابعاً: صفات المفلحين في سورة المؤمنون:	٥٠
خامساً: موانع الفلاح:	٦٦
سادساً: ثواب المفلحين:	٧٦
الخاتمة	٨٣